بالسحر والسحر الأسود كما كان قادراً ـ وهذا مافعله دون شك ـ على إرسال الكثيرين من السحرة إلى المحرقة . اما في هذه الحقبة فلم يكن إيڤان يؤمن كثيراً بالسحرة ويعرف جيداً ان الكسي اردناتشيف لم يمارس عليه نفوذاً آخر غير نفوذ ذكائه وعقله . فعندما كان يلعب الشطرنج معه لم يكن اردناتشيف يستعمل الأحصنة ولا يتخذ اي تدبير لمحاصرة ملكه . وعندما احترقت موسكو حتى اساساتها في عام ١٥٤٧ رفض القيصر قبول نظرية المتروبوليت بأن الحريق كان من عمل السحرة بل رأى في هذه المصيبة عقاباً من الله على الخطايا . ويمكننا الآن أن نفكر بأنه عندما كان يخضع لسيطرة الخمرة كان يسمح بنشر الإشاعة عن بعض الاشخاص بأنهم كانوا سحرة وكان يأمر بقتل بعض الناس تعويضاً عن الضربة التي وجهها الله إليه .

وكانت أبشع خطاياه الجديدة مقتل ماري مادلين وابنائها الخمسة وكانت ماري مادلين هذه ارملة تخلت بعد وفاة زوجها عن العالم ودخلت في حالة من الزهد والتقشف عن طواعية وطهارة وقيدت جسدها بسلاسل انتهى بها الأمر إلى ان اخترقت اللحم . وبعد سنوات من الصيام والتأمل والصلوات وصلت المراة العجوز إلى مرتبة القداسة التى اثرت في خيال الجماهير حتى نسبوا لها لقدرة على الشفاء . وكانت بطبعها حانية على الفقراء والبؤساء وهذا مافتن بها الكسي اردناتشيف ، وربما بتأثيرها كان يغسل بيديه المجذومين الذين كانوا يقطنون عنده . وكان من المعروف عنها صلاتها الحميمة مع اردناتشيف . وكثرت الاقاويل في آذان القيصر انه بسبب ممارساتها السحرية اكتسب الكسي القدرة على السيطرة على عقل القيصر فامر هذا بقتلها وقتل اولادها .

وتلك كانت خطة إيڤان ان يقتل الاسرة كلها لا افراداً منها فحسب . وليس ذلك بسبب من حذر او خوف من ان يقوم الأبناء الاحياء بالانتقام لموت آبائهم وإنما كان بدافع من وحشية محضة وعندما يقضي على الأسرة كان يصادر ممتلكاتها .